

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثانية - العدد الثامن - شتاء ١٣٩١ش / كانون الأول ٢٠١٢م

ص ١٠١ - ١١٤

النقد الأدبي العربي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية «دراسة وتحليل»

حسن مجيدى*

سيد محمد أحمدنيا**

الملخص

يعتبر النقد الأدبي من أبرز مظاهر الأدب العربي المعاصر فقد تأثرت هذه الظاهرة في العصر الحديث بمباحث النقد الغربي وذلك لآتصال العرب بالآداب الغربية. تعود أسباب تأثر النقد العربي بالغرب إلى مؤثرات كالتقارن والمدراس النقدية كمدرسة الديوان ورجالها. والعرب - رغم هذه التأثيرات التي تعتبر لازما للمجتمع المثقف والنشيط ولا بد منها - لم ينس التراث العربي في هذه التيارات النقدية، ولم ينفصل عن الأصالة والتقديم تماما. فانطلاقا من هذا نعالج في هذا المقال بشكل وصفي و مكتبي، المؤثرات الأجنبية على النقد الأدبي العربي المعاصر.

الكلمات الدلالية: الأدب العربي الحديث، النقد الأدبي، تأثير التيارات النقدية

الغربية في النقد الأدبي.

Majidi.dr@gmail.com

*. جامعة تربيت معلم فى سبزوار، إيران. (أستاذ مساعد)..

** مدرس وزارة التربية والتعليم. (ماجستير فى اللغة العربية وآدابها).

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. مهدي ناصري

تاريخ القبول: ١٣٩١/٩/١٢هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/١٠/٢٠هـ. ش

المقدمة

يُعدّ والتأثير علاقة متبادلة بين الحضارات الحية في الميادين العلمية والأدبية وقد كان النقد الأدبي العربي من الميادين التي شهدت التأثر والتأثير. إن أثر النقد الغربي على النقد العربي الحديث بارز لأن الواقع العربي الجديد يطلب ضرورة جديدة في المجال الأدب والنقد كما يطلب الأدباء والشعراء العرب ضرورة جديدة في رأيهم وفكرهم وبيحثون عن أشكال جديدة فرضتها الحياة المعاصرة ضمن دائرة الحداثة الغربية. والناقد يواجه أجناساً أدبية لم تعرفها الثقافة العربية القديمة بينما تقرأ في ضوء النقد العربي القديم نصوصاً مسرحية وروائية وقصصية متأثرة بالآداب الغربية كما تقرأ الشعر العربي الحديث في ضوء القواعد التي وضعها النقد الغربي ويتسلح ببعض أدواته المعرفية التي تطورت تطوراً كبيراً بفعل تطور العلوم الحديثة ولهذا تأثرت قواعد النقد العربي منذ بداية القرن العشرين بالتيارات الغالبة في أوروبا.

المؤثرات على النقد العربي في القديم

لقد أجمع الباحثون المعاصرون من عرب ومستشرقين على وجود التأثير الهيليني في "نقد الشعر" غير أن الخلاف بقي قائماً بينهم حول هذا التأثير. هل هو فلسفه الإغريق عامة أو فلسفه أرسطو خاصة، بل إن منهم من يجادل في تأثير فكر أرسطو برمته على "قدامة" ويحصره في كتاب (الخطابة) وحده، بينما يرى بعضهم أن قدامة أخذ من الخطابة ومن الشعر مما يعتبر "طه حسين" أول من لفت الأنظار إلى الصلة التي تربط النقد بالفكر اليوناني ومن خلال كتاب "نقد الشعر". (طالبي، ١٣٨٤ش: ٤٢) ومن أهم مصادر النقد التي انشغلت بالثقافة اليونانية وحاولت أن تخضع البلاد العربية لأصول أرسطو، كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وتأثر قدامة بالفكر اليوناني في تنظيم كتابه، فجعله ثلاثة فصول مقتدياً بأرسطو. (ضيف، لاتا: ١٦)

قال "أحمد الطرابلسي" إن "قدامة" تأثر ببلاغة أرسطو (خطابته) وليس بكتاب فن الشعر ويتفق مع الباحثين السابقين "طه ابراهيم" حين يقول: «فقد ترجم كتاب (الخطابة) لأرسطو في النصف الأخير من القرن الثالث، ترجمه "إسحاق بن حنين" وقرأه "قدامة بن جعفر" و انكب عليه انكباً وعمل على الانتفاع بأصوله ورسومه في نقد

الشعر العربي.» (عباس، ١٩٨١م: ١٢٩-١٣٠)

المؤثرات على النقد العربي في العصر الحديث

وقف النقد الأدبي حائراً بين الدعوة إلى المحافظة على التراث القديم أو إلى الحركة التجديدية و بين الدفاع عن الأدب الإسلامي والأخلاق والسنن الاجتماعية ومنجزات الحضارة الإسلامية ودراسة رجالها وأعلامها دراسة حديثة في نزعة عقلانية؛ و بين مقاومة التيار الغربي أو إخضاع الأدب للتجديد والتعريب ومهاجمة الأدب الشرقي والدعوة إلى الآداب الغربية وترويج مذاهبها، فمن ثم دخل معارك أدبية أدت إلى ظهور مدرستين رئيسيين في النقد الحديث كما كان في الأدب: ١. المدرسة النقدية التقليدية. ٢. المدرسة النقدية التجديدية. فقد تمثلت المدرسة الأخيرة في المثقفين المتعلمين من الجيل الجديد، المتأثرين بالثقافات الأجنبية والعلوم الجديدة الذين يطمحون العيش بين أبناء جيل النهضة. (صابري، ١٣٨٥ش: ١٢٧-١٢٨)

ولندع النقد الأجنبي في تصورات أصحابه وتنظيراتهم و ممارساتهم فكل أولئك نتاج حضارة ذات فلسفة معقدة وأما عندنا - نحن العرب - في عصرنا هذا فثمة رقعة مكانية علت فيها أصوات النقاد. وتلك الرقعة التي علت فيها هذه الأصوات هي مصر كمركز العالم العربي ومع ذلك كان المهاجرون العرب في الأمريكيتين يبذلون الجهد لاسيما في أوائل القرن العشرين للتنبيه بكتاباتهم إلى أن النقد العربي يحتاج إلى إعادة نظر شاملة وهكذا أخذ مجددوا العصر يضاعفون نشاطهم لربط نقودهم بالتيارات الأوروبية. (احمد كمال زكي، لاتا: ٦٧)

وكان النقد الأدبي في مصر من أبرز مظاهر الأدب العربي المعاصر وكان النقد قوى المعارضة متصل النسب بالسياسة. (الجندي، ١٩٥٧م: ٨٩) ولم يقتصر هذا الأمر على الدراسات النقدية في مصر بل امتد إلى المغرب العربي والمشرق وبلاد الغرب التي تواجد فيها المهاجرون العرب. فتأسست الرابطة القلمية في المهجر الشمالي التي تبنت مثل مدرسة الديوان المذهب الرومانسي في الأدب و النقد. وكان تأثر أعضاء هذه الرابطة بالاتجاهات النقدية الغربية الحديثة مباشرة بسبب تواجدهم في البلدان الأجنبية. (غسان السيد، مجلة الموقف الأدبي)

فلما وقف أبناء الأمة العربية بعد الاتصال بالغرب على الأساليب النقدية لدى الغرب أدركوا أن للنقد أصولاً وطرقاً ومقاييس علمية راقية وقواعد فنية لها أثر كبير في كشف غوامض العلل والأسباب وبها تحدد للنقد حدوده، كما كان لكل علم وفن حدود وقواعد. فتسرّبت تلك المبادئ والأصول وتلك القواعد والفنون إلى الأدب العربي ونقده بفضل هذا الاحتكاك كما يعترف به محمد أمين حسونة في قوله: «أفلا يحق لنا أن نقر في صراحة بأنه لا توجد في الأدب العربي أساليب نقد صحيحة بالمعنى المعروفة به في آداب الشعوب الراقية.» (صابري، ١٣٨٥ش: ١٣٠) ويقول قسطنطين: «لم يكن النقد المعروفة عند العرب في عصر من العصور ومع أن الانتقاد من الغرائز التي عرفوا بها في كل زمن فلم يحددوا له أسماء ولا اشتقوا من اسمه فنا غير ما هو معروف عندهم من نقد الدراهم أي تمييز جيدها من زيفها.» ولا يعني قسطنطين بذلك نفى جهود العرب عن هذا الميدان وإنما وقف بهم الجهد عن بعض حدوده التي لا تجزئ بالقياس إلى ما هو عليه في أوروبا. فكان كتابه لذلك أول كتاب في اللغة العربية يوطئ أكناف هذا الفن ويحدد قواعده ورسومه. (حليمي مرزوق، ١٩٨٣م: ٢٦٣ و٢٦٤) وفي كتب محمد مندور النقدية فإنه يعتمد في تعريف الأدب على ما هو شائع عند الأوروبيين ويقول: «إن الأدب نقد للحياة وكلمة النقد في هذا التعريف تستعمل بمعناها الاشتقاقية فهي مأخوذة من الفعل اليوناني ومعناه "يميز" فكلمة النقد الأوروبية معناها إذن هو تمييز العناصر المكونة للشئ الذي نقده.» (صابري، ١٣٨٥ش: ١٤٥)

وتأثرت قواعد النقد العربي منذ بداية القرن العشرين بالتيارات الغالبة في أوربة، فظهر كتاب طه حسين (في الأدب الجاهلي) متأثراً بفلسفة ديكارت، كما ظهر للعقاد كتاب (ابن الرومي، حياته وشعره) وكتاب آخر عن أبي نواس، متأثراً بالمباحث التاريخية والبيولوجية والسيكولوجية. وشكل العقاد إلى جانب إبراهيم عبدالقادر المازني وعبدالرحمن شكري مدرسة الديوان التي تأثرت بالرومانسية الغربية من النقد. (ربيعي، ١٩٦٨م: ١٧٥)

أما استفادة طه حسين من منهج ديكارت في كتابه عن الشعر الجاهلي وفي كتبه الأخرى فيتمثل بتلك النزعة العقلانية التي تريد أن تخضع كل الظواهر الفكرية

للمتحيص والنقد العقليين، ومن ناحية التاريخ الأدبي فقد استفاد طه حسين من هذا المنهج في امتلاك تلك النظرة النقدية العقلية التي وضعت علم القدامى كله موضع التجربة والاختيار. بالإضافة إلى هذه المؤثرات يذكر طه حسين أثر بعض الأساتذة الطليان الذين طبعوا حياته العقلية بطابع النقد الحديث. من هؤلاء نالينو الذي عمق فهم طه حسين في دراسة الآداب وردها إلى مصادرها الأولى من المؤثرات الاجتماعية والسياسية كما دفعه إلى البحث عن أصل كل جنس من الفنون الأدبية وعن كيفية نموه أو انحطاطه وعن تأثير الأدباء بعضهم في بعض. (الشاذلي، ١٩٨٩م: ٣٢٦) يقول طه حسين عن مؤثرات نالينو: «فمن الطبيعي أن يحدث في نفوسنا أعمق الآثار وأبعدها مدى وأن يطبع حياتنا العقلية بطابع النقد الحديث. وليس من شك أن حقائق التاريخ الأدبي العربي قد تغيرت منذ ذلك الوقت في كثير من أنحاءها.» (حسين، ١٩٥٤م: ١٣) وإلى جانب المجالات، وُجدت مجلة بيروتية أخرى هي مجلة (شعر) تدعو إلى الحدأة في الأدب والنقد. وكان أدونيس ويوسف الخال من أشهر أعلامها الذين دعوا صراحة إلى تبني المقاييس الغربية في دراسة الأدب العربي قديمة وحديثة. (أدونيس، ٢٥٨) يقول أدونيس: «وكما أننا نعيش ومذاهب أدبية ابتكرها، هي أيضا الغرب.» أما يوسف الخال مؤسس مجلة (شعر) فيدعو إلى وعى التراث الروحي - العقلي العربي وفهمه على حقيقته وإعلان هذه الحقيقة وتقويمها كما هي دون ما خوف أو مساييرة أو تردد والغوص إلى أعماق التراث الروحي العقلي الأروبي وفهمه والتفاعل معه. (عياد، ١٩٣٣م: ٢٦٣) وهناك العوامل الأخرى لتأثير الغرب في النقد العربي الحديث مثل النقد المقارن و ظهور المدارس النقدية.

النقد المقارن

ظهر نوع جديد من الدراسات النقدية القائمة على المقارنة بين الأدبين العربي والأوربي، ومستفيدة من تطور الأدب المقارن في أوربة مهد هذا الفرع المعروف الجديد، مثل "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو" لروحي الخالدي و"منهل الورد في علم الانتقاد" للناقد السوري قسطنطين الحمصي الذي خصص الجزء الثالث من هذا الكتاب للحديث عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والكوميديا الإلهية

للشاعر الإيطالي دانتي. (السيد، مجلة الموقف الأدبي)

فمن الطبيعي أن تنعكس التطورات الأدبية على الدراسات النقدية في العالم العربي ويخطو النقد العربي خطوات مع نقاد احتكوا بالآداب الأجنبية وأساليها النقدية ويشهد الفن القديم أبوابا مستحدثة، كهذا الاتجاه النقدي الذي دعى بـ "النقد المقارن" وإن هذا الاتجاه النقدي يهتم بالعلاقات التي تقوم بين أدب وطني كتب بلغة قومه وبين أدب أو آداب أجنبية، كما يهتم بدراسة العلاقات الأدبية القائمة بين كتاب وشعراء متشابهين في إنتاجهم الأدبي. (صابري، ١٣٨٥ش: ١٥١)

ومن الآخرين في هذا الاتجاه النقدي محمد غنيمي هلال في كتابه "في النقد التطبيقي والمقارن" حيث تناول الكتاب أسس النقد الغربي والنقد العربي والتيارات النقدية المعاصرة، وكتابه الآخر "الأدب المقارن"، وهكذا غيره ممن كتب حول الأدب المقارن كمحمد مندور وعبد السلام كفا في وطه ندى، وغيرهم من الأدباء في خارج الوطن العربي. (المصدر نفسه: ١٥٢)

ومما لا شك فيه أن الدراسات المقارنة العربية، خاصة في جانبها التطبيقي، قد تطورت تطورا كبيرا بعد هذه المرحلة، ولكن المهم، بالنسبة لبحثنا هو التأكيد على استفادة النقاد العرب من المنهج المقارن في الدراسات الأدبية، هذا المنهج الذي ولد في فرنسا عام ١٨٢٨م على يدي "آبيل فيلمان" ويقوم وفق وجهة النظر الفرنسية على دراسة التأثير والتأثير بين الآداب. أي دراسة الصلات التاريخية التي يمكن أن تنشأ بين آداب مختلفة اللغة.

إن هذه التغييرات التي طرأت على النقد العربي الحديث لم تسهم على الرغم من أهميتها في تكوين خلفية معرفية ضرورية لتكوين نظريات نقدية عربية.

وهكذا بقي النقد العربي متأثرا بالمتغيرات النقدية الغربية. يرى الدكتور محمد مندور أن منهج الدراسة الأدبية لم يتبلور بعد في بلادنا العربية ولا رسمت خطط ومذاهب. (مندور، لاتا: ١٤٧)

المدارس النقدية

ومن أكبر الظواهر الأدبية والنقدية التي تلفت نظر المؤرخ لتطورات النقد والأدب

المعاصر في القرن العشرين ظهور المدارس النقدية ومن أقوى هذه المدارس هي "مدرسة الديوان" ورجالها: «عباس محمود العقاد وعبدالرحمن شكري وإبراهيم عبدالقادر المازني». (طالبي، ١٣٨٤ش: ١٤٠)

والتفت حولهم عدد من الشباب الناهضين الذين تزودوا بقسط وافر من الثقافة العربية والإنجليزية منهم: عبدالرحمن صدقي وعلي أدهم ومفيد الشوباشي وعبدالحميد السنوسي وعبداللطيف النشار وغيرهم.

وتأثر شعراء مدرسة الديوان بقراءتهم وثقافتهم الإنجليزية بوجه خاص وكان العقاد والمازني يرجعان في النقد إلى "هازلت وماكولي وأرنولد وشاستري" فأغلب آراء العقاد مأخوذة من "هازلت" ومحاضراته في الشعراء الإنجليز ويشببه العقاد في عنفه النقدي، كما رجع العقاد في مذهبه النقدي إلى "ريتشاردز" صاحب كتاب "مبادئ النقد الأدبي". (المصدر نفسه: ٦٤) وفي الحقيقة إن العقاد وصاحبه يعترفون بأثر الرومانسية الغربية فيهم، وإن هذه الرومانسية هي التي فتحت أمامهم المعنى الجديد للشعر. (إبراهيم الحاوي، ١٩٨٤م: ٥٦) يعترف العقاد بتأثر شكري من الآداب الأجنبية حيث يقول في بعض من تلك الذكريات: «عرفت عبدالرحمن شكري قبل خمس وأربعين سنة فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابتنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية وما يترجم إليها من اللغات الأخرى.» (خفاجي، ١٩٨٥م: ٢٣ و٢٤)

وقد أعجب شكري كل الإعجاب بشعراء الرومانسية الإنجليزية "رودزورث وكولردج وشلي وبيرون وكيثس وسكوت" وقرأ كل ما كتبوه وتأثر بهم روحا ومنهجيا. (شكيب انصاري، ١٣٧٦ش: ١٦١)

كما ينظم المازني معه الشعر على أسلوب جديد في ضوء ما قرأ من شعر الإنجليز وخاصة عند أصحاب النزعة الرومانسية أمثال "شلي" وشعراء البحيرة. (الفتاح البدوي، ١٩٩٠م: ٣٦٤) ويقرأ المازني وتتسع قراءته وينفتح أمامه العالم الغربي عن طريق إتقانه للإنجليزية، فلا يقف عند ما يقرؤه في الأدب الإنجليزي بل يقرأ كل ما استطاع في الآداب الغربية المختلفة. (ضيف، لاتا: ٢٦٣) ونشر المازني أول مجموعة مختارة من مقالاته سنة

١٩٢٤م بعنوان "حصاد المهسيم" وفيها نراه يتحدث عن شكسبير ورواية تاجر البندقية التي نقلها إلى العربية خليل مطران، كما يتحدث عن ماكس نورد و آرائه في مستقبل الأدب والفنون. ويناقش آراءه مناقشة تدل على اتساع ثقافته الغربية. ويدرس بجانب ذلك المتنبي وابن الرومي، ويترجم بعض رباعيات الخيام عن الانجليزية. ويعرض لكثير من مشاكل الأدب و النقد. (المصدر نفسه: ٢٦٥)

أما العقاد فنراه يقول عن هذا الجيل الجديد: «فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية وهي مع إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليزيين لم تنس الألمان والطيان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ولاأخطىء إذا قلت إن "هازليت" هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد.» (العقاد، ١٩٣٧م: ١٩٢) وكان مرجعها الأول مجموعة "الكنز الذهبي" وهي مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزي من عهد شكسبير إلى نهاية القرن العشرين. (خفاجي، ١٩٨٥م: ٧)

أعجب العقاد بشكسبير لاطلاعه الدائم على أعماله، وهو يجعل شكسبير نبى الفكر وهو يفعل ذلك في محتوى مفهوم الشاعر النبى الذى أطلقه كارليل وتبناه الرومانتيكيون يقول العقاد: «ليس شكسبير بإنسان من الناس في هذا الاعتبار ولكنه خارقة إلهية لايدخلنا الناس فيما بينهم من المناقشات والموازنات.» (العقاد، ١٩٣٧م: ٢٧٧) وينظم العقاد قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتا بعنوان "شكسبير بين الطبيعة والناس" وأيضاً استقى من شكسبير بعض الأفكار في شعره بالإضافة إلى أن العدد الأكبر من مترجمات العقاد مختار من مسرحيات شكسبير. وقراءة العقاد للأساطير كانت من الروافد التي لها فعاليتها في تفتيح مواهبه فقد استخدمها في شعره بكثرة: أسطورة "فينوس" ربة الحب عند الأقدمين وهي تقف على جثة "أدونيس" أحد أبناء ملوك قبرص وقد عرب العقاد هذه الأسطورة عن شكسبير. (طالبي، ١٣٨٤ش: ٧٩)

وفي هذه الفترة رأى العقاد وهيكل وطه حسين والمازنى أن ينقلوا إلى قرائهم مباحث الأدب والنقد الغربية ويشفعوها بنظرات تحليلية في المفكرين الغربيين. وكان ذلك سببا في ظهور ملاحق أدبية للصحف اليومية، فأخرج هيكل السياسية الأسبوعية وأخرج

العقاد أو أخرجت جريدة البلاغ الوفدية مجلة البلاغ الأسبوعية، ونتج عن ذلك نهضة أدبية واسعة. وأخذ هؤلاء الكتاب يجمعون مقالاتهم الممتازة في كتب وينشرونها فنشر العقاد كتاب مثل: "مراجعات في الآداب والفنون" و"مطالعات في الكتب والحياة" و"الفصول" وهي تصور هذا الجهد العقلي الحصب الذي اضطلع به في حياتنا الأدبية، فقد نقل إلينا كثيرا من الأفكار الأوروبية التي لم تكن تعرفها العربية. (ضيف، لاتا: ١٣٧) إن من المستطاع إجمال المؤثرات النقدية الأجنبية على العقاد في هذه النقاط: الدعوة إلى الوحدة العضوية وإلى أصالة الشاعر في رجوعه إلى ذات نفسه، وتصوير مشاعره وأفكاره بصور مستمدة من تجاربه وبيئته، وكذلك دعوة الشاعر إلى أخذ تجاربه نفسها من بيئته يصدر فيها عن صدق فكره وشعوره. ويجمع ذلك كله أنه كان يدعو إلى الصدق الفني في التصوير، ثم إلى صدق التجارب في الإيمان بموضوعاتها. وله الفضل في توضيح معنى الخيال، وإنه إنتاج الصور الصادقة وهي نتاج الخيال لا تقوم على الشبه الظاهري الحسى، ولكنها تثير شعورا نفسيا يتجاوز هذه المظاهر. وهذه كلها نزعات رومانتيكية كما وضح من موجز ما عرضنا من النواحي الرومانتيكية. (طالبي، ١٣٨٤ش: ٨٤)

ورأينا فيما مضى أن أعضاء مدرسة الديوان كانوا يتأثرون بالآداب الأجنبية بواسطة قراءاتهم أو ترجماتهم من الكتب الأجنبية وخاصة الإنجليزية منها وهذا ما يتضح لنا من خلال مقالاتهم عن الشعراء والأدباء والمفكرين الأجانب مباشرة وعن طريق أخذ فكرتهم وآرائهم عنهم في تقديمهم وإنتاجاتهم الأدبية. ويؤكد على قولنا تأثر هؤلاء الثلاثة من كتاب "الذخيرة الذهبية" ومقالات العقاد وآرائه في "ماكس نورداو" في قضية الجمال وأفلاطون وفلسفة الأخلاق وكانت وفلسفته و... وآراء شكري في الخيال والتوهم متأثر بالغرب و"وردزورث" و"كولرج". (باقرى، ١٣٨٧م: ١٥٣)

وجدنا جماعة جديدة أتت في أعقاب مدرسة الديوان تريد أن تحل بالتجديد إلى غايات أسمى - في نظرهم - مما نادى به زعماء مدرسة الديوان واتخذوا إله الشعر عند اليونان "أبولو" رمزا لهم وأصدروا صحيفة بهذا الاسم أفسحوا فيها المجال للبحوث والآراء التي تعنى بتجديد الشعر العربي في العصر الحديث. (درويش، ١٩٨٨م: ١٩٢) لاتكون جماعة "أبولو" مذهبا أدبيا ولذلك كانت صلتها قوية بمدرسة البعث والتقليد

وحاولت أن تمد القنوات بينها وبين مدرسة الديوان كما اتصلت بمدارس الأدب العربي على مختلف فنونه ومواقعه. (محمد براده، ١٩٨٦م: ٩٤ و٩٥)

وبعد هذه الدراسات والكتابات فلننظر إلى هذا السؤال: هل تأثر النقد العربي بالغرب تماما ونسى التراث النقدي القديم بحيث لا يرتبط بالتراث العربي القديم ويغفل الرواد من النقاد العرب، القيم الثقافية القومية؟

لم تكن مدرسة الديوان خاضعة في كل اتجاهاتها النقدية لما أملاه الفكر النقدي الإنجليزي في بيئة الروماتيين أو غيرهم إذ كانت للديوانيين نظراتهم الخاصة وارتباطهم بتراثهم العربية وأن يقيموا جسرا بين الثقافتين العربية والأوروبية. (هدارة، ١٩٩٤م: ٣٤١) أما بجانب هذه الإحياءات والإلهامات الغربية في شعر هذه المدرسة إحياءات وإلهامات كثيرة من الشعر القديم لأن هذه المدرسة لم تنفصل انفصالا تاما عن نماذج الشعر العربي، وإن كانت كتاباتها النقدية في شعراء الإحياء توهم ذلك. والحقيقة أنها كانت تتصل بروائع الشعر السابقة التي تقرب من ذوقها، مما قرأته عند "ابن الرومي" و"المتنبي" و"الشريف الرضي" و"أبي العلاء" وقد كتب المازني فصولا طريفة عن ابن الرومي وأشاد بشعره إشادة واسعة وأفرد له العقاد كتابا، وكتب مرارا عن المتنبي وأبي العلاء المعري و... .

فهم لم ينفصلوا ولم يستقلوا تماما عن الشعر القديم... وليس هذا عيبا في المدرسة، بل هو حسنة كبرى لها، فإنها بذلك تدخل في مجرى الحياة الأدبية بقوة وتصبح تيارا نافذا عاملا فيه تيارا فيه من الروح والحياة العربية ومن إلهامات الغرب وقراءة آثاره، فهم شوقيون غربيون بل هم مصريون عبروا عن روح عصرها المتشائمة تعبيراً قويا، وطبعوا هذا التعبير بطوابع الثقافة الحديثة وكل ما اكتسبه العقل المصري من رقى. وإذا كانوا في أول الأمر قد نقدوا شعراء الإحياء وعابوهم بتسجيلهم الأحداث السياسية والاجتماعية فإنهم اضطروا اضطرارا أن يسلكوا في بعض الأحيان سبيلهم وخاصة "العقاد" الذي يختلط بعد سنة ١٩٢٢م بالحياة السياسية وأصبح عضوا عاملا في التعبير عنها باسم أحزابها، ولم يقف بهذا التعبير عند النشر، بل مدّه إلى الشعر. (طالبي، ١٣٨٤ش:

و فضل مدرسة الديوان بأنهم اضطلعوا على الأدب الإنكليزي واستفادوا من مبادئه و حاولوا في ثورتهم على القديم أن يجدوا في الشعر العربي الحديث ما وسعهم الجهد متخذين من قضايا النفس والذات والآراء والخواطر الإنسانية أساسا لانطلاقهم في النظم. (أبو الشهاب، ١٩٨٨م: ٩٥) ولقد كانت هذه المدرسة مستقلة في آرائها ولم تكن فناء تاما في الأدب الأجنبية لأنها تحصنت ضد هذا الفناء والخضوع بما لقت نفسها من الأدب العربي سابقا وفي أثناء مقاربتها لهذا الأدب فأعانها ذلك على سلامة الرأي والتمييز، وجنبها الوقوع في إسهار التقليد. (أبو كريمة، لا تا: ١٠٠)

وكان على جيل الرواد من النقاد العرب إذن الاختيار بين الاكتفاء بالتراث النقدي أو الاستفادة من المناهج النقدية الغربية. أما التيار الأول فقد قدم طروحات تتعلق ببناء مشروع نقدي عربي مستقل نسبيا عن التيارات النقدية الغربية ومتواشج مع التراث النقدي العربي القديم. مثلما فعل حسين المرصفي في كتابه "الوسيلة الأدبية" ومصطفى صادق الرافعي في "تاريخ آداب العرب" وجرجي زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية". (غسان سيد، مجلة الموقف الأدبي)

ونرى أن جيل الرواد من النقاد العرب حاولوا تجديد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية واطلاعهم العميق على مناهج البحث في الدراسات الأدبية الأوروبية الحديثة، ولم يغفل هؤلاء الرواد في لحظة اتصالهم بالثقافة الأوروبية عن النظر في القيم الثقافية القومية بل نراهم وهم يبذلون أقصى جهودهم في تطوير هذا التراث القومي والعمل على توثيقه وربطه بالمجري العام للثقافة الإنسانية. لأنهم كانوا مقتنعين بأهمية ما يفعلونه من أجل تعريف العالم بأدب متجدد يستطيع أن يواكب المتغيرات العالمية. فلم تكن النهضة إذن إلا شعورا بالقلق الجم لم يستيقظ فيجد نفسه متخلفا عن الركب. ولأول مرة يتعرض الأدب العربي القديم للبحث والتدقيق ولا شك في القيم التي توارثتها الأجيال المختلفة بالاعتماد على أدوات فنية غربية بعد أن بدا النقد العربي القديم عاجزا عن القيام بهذه المهمة الصعبة لأنه كان يقوم في كثير من الأحيان على مجموعة من الانطباعات اليسيرة التي طغت عليها محاولات البلاغة اللفظية والأحكام المجاهزة دون تحليل.

إن المناهج النقدية الأوروبية فرضتها ظروف محددة عاشتها تلك المجتمعات لأن كل تغير في مجال الفكر والفن لا يحدث بمعزل عن القوى الأخرى الفعالة في المجتمع. ولذلك كانت ولادة هذه المناهج وتطورها يحدث بصورة طبيعية أما عندما عمدنا إلى نقل هذه الاتجاهات النقدية الجديدة دون تأمين الوسط المناسب، فإننا نكون قد حكمنا عليها بالموت سلفاً مثلها في ذلك كمثل نبتة لاتعيش إلا في المناطق الاستوائية أو المدارية مثلاً وتنتقل إلى خارج موطنها الأصلي دون تأمين الظروف المناسبة لاستمرارها في الحياة. والمشكلة أن النقد العربي المعاصر لا يستطيع التخلص من هذه الإشكاليات التي عانى منها النقد العربي الحديث منذ مطلع عصر النهضة على الرغم من بعض الدراسات المتميزة التي يقوم بها بعض النقاد العرب مثل شكرى عياد ومصطفى ناصف وجابر عصفور ووهب رومية وغيرهم، لا بل إن بعضهم ينظر بعين التقديس إلى كل ما يصدر عن النقاد الغربيين. يكفي أن ننظر إلى مقالة الدكتور حسن سحلول في مجلة المعرفة السورية للتأكيد من حالة الاستلاب التي يعاني منها النقد العربي المعاصر، إذ يذكر أكثر من ثلاثين اسماً لنقاد غربيين في صفحات قليلة. (غسان سيد، مجلة الموقف الأدبي)

إننا نظن أن النقد العربي الحديث بعيد عن الموضوعية وعن المنهج العلمي الدقيق، وذلك لأنه لم يستطع تطوير النقد العربي القديم ولا أن يتمثل بمناهج النقدية الغربية الحديثة، ولا أن يخلق منهجاً نقدياً عربياً جديداً يستمد خصوصيته من خصوصية علاقته بواقعية، دون أن ينقطع عن المناهج النقدية العالمية. يقول الدكتور شكرى عياد: «ونحن نعترف دائماً بأننا لن نستطيع فهم القديم - كما يتاح لنا فهمه اليوم - إلا إذا نظرنا إليه بعيون معاصرة ولا يقتصر ذلك على الوعي بمشكلات الحاضر ومطالبه، ولكنه يتضمن استخدام وسائل الفكر المعاصر أيضاً.» (شكرى عياد، ١٩٣٣م: ٦)

النتيجة

تأثر النقد العربي بالغرب وحاول العرب تجديد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية وبعد هذا الاتصال أدركوا أن للنقد أصولاً وقواعد فنية فأدخلوا تلك القواعد والفنون إلى الأدب العربي ونقده. تأثر أكبر مدرسة نقدية وهي

مدرسة الديوان بالأدب الأروبي المعاصر وقد نبع تيار النقد العربي الحديث من النقد العربي وقد أحدث هذا التيار أثرا كبيرا في الشعر العربي وحركة التجديد للشعر العربي. إن الرواد من النقاد العرب في اتصاهم بالثقافة الأروبية لم يغفلوا عن القيم الثقافية العربية وبذلوا جهودهم في تطوير هذا التراث ولم ينفصلوا من القديم تماما. إن القاعدة الأساسية للسير بهذا النقد في الاتجاه الصحيح موجودة وذلك بفضل جيل الرواد من النقاد العرب في العصر الحديث الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة. وهذه التطويرات من أجل تطور منهج نقدي عربي ولن يكتب لهذا المنهج النجاح إلا إذا جمع بين التراث العربي النقدي والمناهج النقدية الحديثة.

المصادر والمراجع

- أبوالشباب، واصف. (١٩٨٨م). القديم والجديد في الشعر العربي الحديث. بيروت: دار النهضة العربية.
- ابوكريشة، طه مصطفى. (لاتا). ميزان الشعر عند العقاد. لامك: لانا.
- أحمد كمال، زكي. (لاتا). النقد الأدبي الحديث. بيروت: دار النهضة العربية.
- اسدبور كياسرى، فاطمه. (١٣٨٧ش). موازنة بين آراى نقدي وادبي عباس محمود العقاد واحمدزكى ابوشادى. الأستاذ المشرف: حسين شمس آبادى. جامعة تربيت معلم فى سبزوارة.
- باقرى، مرتضى. (١٣٨٧ش). مدرسة الديوان ودورها فى الأدب العربى المعاصر. الأستاذ المشرف: محمدعلى طالبى. جامعة تربيت معلم فى سبزوارة.
- برادة، محمد. (١٩٨٦م). محمد مندور وتنظير النقد الأدبى. القاهرة: دار الفكر.
- الجندى، أنوار. (١٩٥٧م). نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر. لامك: مطبعة الأعلام.
- الحاوى، إبراهيم. (١٩٨٤م). حركة النقد الحديث والمعاصر فى الشعر العربى الحديث. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- حسين، طه. (١٩٥٤م). تاريخ الآداب العربية. مصر: دار المعارف.
- خفاجى، عبدالمعتم. (١٩٨٥م). دراسات فى الأدب العربى الحديث. الجزء الثانى. القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية.
- درويش، حسن. (١٩٨٨م). النقد الأدبى بين القدامى والحديثين. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- ربيعى، محمود. (١٩٦٨م). فى النقد الشعرى. القاهرة: دار المعارف.

- شاذلى، عبدالسلام. (١٩٨٩م). الأسس النظرية فى مناهج البحث الأدبى العربى الحديث. بيروت: دار الحدائثة.
- شكيب انصارى، محمود. (١٣٧٦ش). تطور الأدب العربى المعاصر. أهواز: جامعة شهيد چمران أهواز.
- صابرى، على. (١٣٨٥ش). النقد الأدبى وتطوره فى الأدب العربى. طهران: سمت.
- ضيف، شوقى. (لاتا). الأدب العربى المعاصر فى مصر. الطبعة العاشرة. القاهرة: دار المعارف. _____ (لاتا). فى النقد الأدبى. القاهرة: دار المعارف.
- طالبي، محمدعلى. (١٣٨٤ش). المختصر فى النقد الأدبى. طهران: ناشر عابد.
- عباس، إحسان. (١٩٨١م). تاريخ النقد الأدبى عند العرب. بيروت: دارالثقافة.
- العقاد، عباس محمود. (١٣٨٢ش). مناهجه، آراءه، معاركه النقدية. طهران: حروفية.
- _____ (١٩٣٧م). شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى. القاهرة: مطبعة حجازى.
- _____ (١٩٨٤م). ساعات بين الكتب. بيروت: لانا.
- عياد، شكرى. (١٩٣٣م). المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين. الكويت: عالم المعرفة.
- الفتاح البدوى، زينب. (١٩٩٠م). دراسة نقدية مقارنة. السودان: مطبعة جامعة الخرطوم.
- مرزوق، حليمى. (١٩٨٣م). تطور النقد والتفكير الأدبى الحديث. بيروت: دار النهضة العربية.
- مندور، محمد. (لاتا). النقد والنقاد المعاصرون. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.
- هدارة، محمدمصطفى. (١٩٩٤م). بحوث فى الأدب العربى الحديث. القاهرة: دار الفكر العربى.